الخصوصية الثقافية

نحو تفعيل التغير السياسي والاجتماعي

تنسيق علمي وإشراف

نادية محمود مصطفى

محمد صفار

مراجعة وتحرير

علياء وحدي

٢٠٠٨

الخصوصية الثقافية :
نحو تفعيل التغيير السياسى والاجتماعى
٢٠٠٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر البرنامج

حقوق الطبع والنشر محفوظة للبرنامج
القاهرة ٢٠٠٨

تصميم الغلاف: نوران زين العابدين

برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة – الجيزة – مصر
تليفون مباشر: ٣٥٦٧٦٤٨٦ – ٣٥٧٠٣٧٦٩ – ٣٧٧٦٨٢٤٨ فاكس: ٣٥٧٠٣٧٦٩
البريد الإلكترونى: hewar@hewaronline.net
الموقع الإلكترونى: www.hewar-online.org

الخصوصية الثقافية :
نحو تفعيل التغيير السياسى والاجتماعى
٢٠٠٨

تنسيق علمى وإشـراف
نـادية محمـود مصـطفى
محمد صفار
مراجعة وتحرير
علياء وجدى

برنامج الدراسات الحضارية
وحوار الثقافات
٢٠٠٨

كلمة الدكتور أنور عبد الملك*

أشعر بغاية الحرج بعد استماعى للكلمة الافتتاحية للأستاذة الدكتورة نادية مصطفى، لأننى دخيل تماماً على مناخ ما يسمى بـ"الخصوصية الثقافية"، بل على العكس كانت حياتى العملية والنظرية والسياسية فى عالم آخر. ولست أدرى كيف يمكن الربط بين ما قمنا به وما هو قائم هنا، فهذا أمر غاية فى الصعوبة.

إن موضوع الخصوصية بدأ ليس فى جامعة أو جامعات أو اجتماعات مثقفين، وإنما بدأ داخل العراك السياسى ضد الاستعمار من أجل التحرر فى الخمسينيات من القرن العشرين، وعلى وجه الخصوص فى مصر، حيث بدأ هنا فى مصر وانتهى إلى مصر.

موضوع الخصوصية كما أفهمه – أو كما قمت به إن جاز التعبير – انتقل فى مصر عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بين مطلع الأربعينيات، أيام الحركة الوطنية التقدمية حول اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وعام ١٩٥٩ وهو العام الذى غادرت فيه مصر. وفى هذا الفترة انكسرت الجبهة الوطنية بين الضباط الأحرار من ناحية والقوى الوطنية الشعبية الثورية التقدمية من ناحية أخرى، كان ذلك بين عامى ١٩٥٦ و١٩٥٧.

المرحلة الثانية: كانت فى الخارج فى رحاب المركز القومى للبحث العلمى فى فرنسا بين عامى ١٩٦٢ و١٩٧١.

المرحلة الثالثة: وكانت مرحلة حاسمة، وقد تمت فى رحاب منظمتين دوليتين، هما: الاتحاد العالمى لعلم الاجتماع، وجامعة الأمم المتحدة فى طوكيو بعد عام ١٩٧٦.

بعد عام ١٩٦٧ تجمع خارج منطقة الشرق – وبالنسبة إلىّ دائرة الشرق هى الدائرة

---

* نص تفريغ المحاضرة بعد تحريرها.

الرئيسية وهى مكونة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية – تجمع عشرات ومئات وآلاف الكوادر السياسية بالأساس – والمعنية بالفكر فى الوقت ذاته – ممن اضطروا إلى الهجرة أو التواجد خارج ديارهم نتيجة انكسار الحركات الوطنية والثورات مرحلياً فى عالم الجنوب فى الخمسينيات حتى انكسار هذه الثورات فى الصين وفيتنام والجزائر وما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣. فمثلاً ظهرت فى باريس ولندن، وإلى حد ما فى برلين وروما، تجمعات مكونة من مئات من الكوادر الذين أصبحوا فيما بعد سياسيين بل ورؤساء جمهوريات. تجمع هؤلاء الكوادر فى المنافى وتعارفوا، وكان الهم المشترك بينهم "ما العمل فى ظرف الردة السياسية هذا؟ لما نحن خارج اللعبة؟ لماذا نحن مغيبون؟". هذه كانت تساؤلات سياسية، وليست نظرية أو فلسفية أو اجتماعية.

فعلى سبيل المثال، حينما سافرت إلى الخارج وجدت من يصف حركة يوليو ١٩٥٢ فى مصر بأنها عمل همجى غير نظامى، ويصف القائمين بها بالخوارج. وبالمثل هناك من وصف أمريكا اللاتينية كلها بأنها غير نظامية، وبأنها عبارة عن منشآت عسكرية. ثم سمعت عن حالة فى غاية الغرابة، وهى حالة الصين التى يجمع رئيسها بين الكونفوشية والشيوعية، ثم فيتنام –تلك الدولة شديدة الفقر– تخوض حرب عصابات ضد الولايات المتحدة الأمريكية –أقوى دولة فى العالم. كل ذلك حدث دون أن يندرج فى سياق نظامى أو فى إطار نظرية سياسية أو استراتيجية مفهومة أو مقبولة.

كل شىء كان "خارج"، وكان السؤال إذا كان كل ما سبق "خارج"، أفلا يكون الداخل – ممثلاً فى المركز – هو الخارج؟ الإجابة قطعاً بالنفى؛ هو أصيل ونحن أصلاء. إذاً ما الذى يربط بيننا وبينه؟ كيف نفهم العلاقة بيننا وبينه؟ أين الجذور؟ وأين هذا العالم الواحد الذى يدعون وجوده، وأين نحن من هذا العالم؟ كان هدفنا من هذه التساؤلات هو بناء جسور بين شئ موجود عندنا وشئ موجود عندهم لم نكن نفهمه.

حدثت محاولات كثيرة، فى البداية كانت هناك النظرية السياسية العامة التى تتحدث عن حركات وطنية وحركات إمبريالية، ووجد عدد منا مناسبة أو إطاراً فى الاتحادات العالمية

للعلوم الاجتماعية. هناك اتحادان رئيسيان: الاتحاد العالمى للعلوم السياسية IPSA، والاتحاد العالمى لعلم الاجتماع ISA. الأول مسيطر عليه أطلنطياً وأمريكياً وصهيونياً والتعامل معه أمر صعب، وأنا عضو فيه ولكن ليس لى أى حركة داخله. أما الثانى فكان فيه متسع ورحابة، فهو يضم فى عضويته شيوعيين ورجعيين ورجال مخابرات ورومانسيين، من الغرب ومن الشرق، كان مناخه منفتحاً. فى هذا الاتحاد أنشئت لجان بحثية، منها لجنة كان اسمها "لجنة علم الاجتماع العسكرى"، وكنت رئيساً لها وكان هدفها بيان دور الجيوش، حيث إنه لا توجد دولة فى العالم إلا وتكونت عن طريق مركزية الجيش فى ثورتها (فرنسا، إنجلترا،... إلخ). إذاً فنحن لسنا خوارج، ولكننا مثل الآخرين تماماً. ومن هذه اللجنة انبثقت لجنة اسمها "الحركات الوطنية والإمبريالية"، وهى موجودة حتى اليوم، وكان دورها إقامة جسور بين القطاعين.

وقد فتح الاتحاد العالمى لعلم الاجتماع مجالاً كبيراً لأجواء من الصعب فهمها اليوم، حيث كان هناك مزيج من الفكر الماركسى – حيث كان للاتحاد السوفيتى حضور كبير جدا فى هذا الاتحاد – والفكر الماركسى فى الدول الغربية والفكر القومى الوطنى فى العالم الثالث. وقد بلغ بى الأمر منذ سنة ١٩٧٤ أن أصبحت أنا وبعض زملائى من دول العالم الثالث نواباً لرئيس هذا الاتحاد – الذى كان غربى التكوين والتوجه، وقد أخبرونى فى ذلك الوقت أن تعيينى نائباً لرئيس الاتحاد كان بسبب حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم أفهم ما العلاقة بين الأمرين؟! وفى هذا الوقت عُيِّن معى فى نفس المنصب زميل اسمه فرناندو كاردوزو، الذى صار رئيساً للبرازيل بعدها بأربع سنوات.

هكذا كان مستوى العمل العلمى فى ذلك الوقت، فلم يكن هناك فرق بين جامعة وسلطة، بل كان هناك نسيج مشترك. ومن ثم كان هذا الاتحاد بالنسبة إلىّ إطاراً مهماً لتطوير فكرى.

وكانت المرة الأولى التى ذكر فيها مفهوم الخصوصية specificity، كان فى المؤتمر العالمى السابع للاتحاد العالمى لعلم الاجتماع فى سبتمبر ١٩٧٠ فى مدينة فارنا فى بلغاريا، وعرضت فى هذا المؤتمر ورقة تحت عنوان "مفهوم الخصوصية The Concept of

Specificity" لأول مرة كمفهوم علمى، وطوِّر فى العام التالى فى ندوة إقليمية لعلم الاجتماع فى الدول المتحدثة بالفرنسية – المتعارف عليها الآن بالفرانكفونية – بعنوان "الخصوصية والنظرية الاجتماعية".

ثم جاءت الفرصة الكبرى للانتقال من هذه البوتقة العلمية المحدودة إلى العالم الواسع، وذلك حين أنشئت جامعة الأمم المتحدة فى طوكيو باليابان سنة ١٩٧٦ لتكون الترسانة الفكرية لنظام عالمى جديد مرتقب، وفى ذلك الوقت كان يرأس اليونسكو أحمد مختار إمبو، وكان يسعى إلى نظام إعلامى جديد. وفُتِح أمامنا مجال جديد كبير لم يكن مفهوماً بعد؛ مجال يتحدث عن إقامة مشاريع كبرى major projects "فى الهواء"، بمعنى أن تتشكل خارج مركز العالم ويتم الربط بينها. وحدث بعد ذلك أن أقيم أهم مشروع فى جامعة الأمم المتحدة، وقد توليت رئاسته، وأنا أعتبر أن هذا المشروع قد عجل بخراب الجامعة، وكان عنوانه "البدائل الثقافية والاجتماعية للتنمية فى عالم متغير"، والذى انبثقت عنه فكرتا "تغيير العالم" و"لإبداع الفكرى الذاتى". هذا المشروع اجتمع فيه خمسة وعشرون مركزاً بحثياً من مختلف دول العالم، و٥١٠ باحثاً من ٧١ دولة، ونتج عنه ٥٢ مؤتمراً إقليمياً وعالمياً. واستمر الأمر إلى درجة شغلتنا عن إدراك أن هناك أموراً أهم، حتى وصل اليمين الجديد إلى سدة الحكم فى أمريكا برئاسة ريجان، الذى قامت بتصفية اليونسكو وطرد أحمد مختار إمبو، كما قام بتصفية جامعة الأمم المتحدة فى طوكيو.

وبعد عشر سنوات بدأت بوادر المناخ الذى نعيشه الآن؛ نقل المعرفة، نقل المعلومات، المجتمع التكنوقراطى، المجتمع المعلوماتى، ما عد المجتمع الصناعى، وما تبع ذلك من أمور من قبيل المجتمع المدنى العالمى والشفافية وغيرها.

لكن الجهد المبذول سابقاً لم يذهب سدى، فما تم فى هذه المرحلة نشر بمختلف لغات العالم بما فيها اللغة العربية. فمثلاً كتاب "الجدلية الاجتماعية" الذى أصدرته عام ١٩٧٢ فى فرنسا نشر بجميع لغات العالم، وأصبح من الكتب الأكثر مبيعاً فى اليابان. وبعد ٣٣ عاماً ترجم إلى اللغة العربية وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة ضمن المشروع القومى للترجمة

عام ٢٠٠٥.

ما هو جوهر "مفهوم الخصوصية The Concept of specificity"؟

الجوهر يكمن فى أمرين: ما الذى يجمع بين المجتمعات؟ وما المشترك بينها؟ هناك التفسير الماركسى التقليدى الذى يتحدث عن وجود بناء تحتى وبناء علوى لأى مجتمع أو دولة.

أما التفسير الذى قدمته فيقوم على وجود أربعة عناصر تكوينية لأى مجتمع:

- عنصر اقتصادى: إنتاج معانى الحياة.
- عنصر ديموجرافى: استمرار الحياة reproduction.
- السلطة المجتمعية التى تجمع روابط المجتمع.
- عنصر قيمى: الدين أو الفلسفة أو الحضارة.

هذه هى العناصر التكوينية للمجتمعات الثابتة، وفى رأيى أن هذا التقسيم يعد أكثر تفصيلاً من التفسير الماركسى.

وتتحدد خصوصية أى مجتمع من خلال تفاعل عاملين:

- المسيرة التاريخية التكوينية؛ فالمجتمع – أى مجتمع – يتشكل حسب ظروفه التاريخية عبر فترة طويلة من الزمن.
- الدائرة الجغرافية والجيوسياسية؛ فالتشكل التاريخى يحدث داخل قنوات جغرافية وجيوسياسية.

ومن خلال هذا المدخل يمكن تفسير الأوتوقراطية المصرية –على سبيل المثال– منذ عصر الفراعنة وعبر العصور المختلفة، ولماذا لم تظهر فى مصر –أو الصين مثلاً– الفاشية أو النازية كما ظهرت فى أوروبا فى القرن الماضى. فبالنظر إلى الإطار الجغرافى لمصر نجد أنها بلد محاصر صحراويًا، حياته كلها مرهونة بنهر النيل. أما الإطار

الجيوسياسى لمصر فهو ليس كالإطار الجيوسياسى للمكسيك أو تايلاند؛ فمصر تقع فى منطقة تقاطع قارات عالمى الشمال والجنوب، عالمى الشرق والغرب، تقاطع القارات الثلاث، فضلاً عن أنها منطقة بها ثروات نفطية. ومن ثم فمنطقتنا هذه هى أسوأ "بؤرة جيوسياسية" – كما قال جمال حمدان – فى العالم.

وإذا أجرينا هذه العناصر التكوينية الأربعة فى مجرى التاريخ فى إطار جغرافى مغاير، أى فى بلد تمتاز أرضه بالخصوبة الزراعية أو بلد لا يقع فى أى بؤرة جيوسياسية، سوف نجد أن هذا المربع التكوينى يتشكل بطريقة مغايرة. ففى مصر نجد أن الدولة المركزية هى أساس الوجود المجتمعى، وهى التى تتحكم فى المياه وفى هذه البؤرة الجغرافية الصغيرة التى يتمركز فيها السكان ويعيشون فيها بالكاد. أما كون الدولة عادلة أم غير عادلة فهذا موضوع آخر.

نقطة أخرى مهمة، وهى عقيدة التوحيد التى يؤمن بها المصريون منذ فجر التاريخ، حيث ظهر التوحيد فى الفكر المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشرة مع إخناتون. وللأسف فإن المصريين أنفسهم لا يعون هذه الحقيقة بشكل كافٍ. لكن المؤكد أن الحياة الدينية الإيمانية فى الخصوصية المصرية لا تقل أهمية عن مسألة الدولة المركزية.

حينما نطبق هذه العناصر على أى بلد آخر سوف نجد مفاتيح ومداخل لفهم جوهر هذا البلد، ويمكننا فى هذه الحالة بناء روابط وجسور للتعاون مع تلك الدول والأمم الأخرى – إيجاباً وسلباً– بدلاً من العيش فى خنادق بعيدة عن بعضها ونحن نتصور أننا نتحاور معهم وأننا نفهمهم ويفهموننا.

وهنا يكمن اعتراضى على كلمة "الخصوصية الثقافية"؛ فهى معنى مطلق فى حين أنه لا يوجد خصوصية ثقافية أو علمية أو مجتمعية أو سياسية. فالخصوصية يتمتع بها المجتمع كله، بكل قطاعاته، والخصوصية تكمن فى الاستمرارية وليس فى مظاهر الوجود. وهذا يذكرنا بكتابات القرن التاسع عشر، حين كان كبار كتاب الاستعمار يصفون الشعوب

بعاداتهم وتقاليدهم؛ فالعرب سلفيون ويحبون اللحم المشوى، والبوذيون خارج هذا العالم، والفرنسيون يحبون أكل الجبن، والإيطاليون روحهم مرحة، والألمان صارمون، إلى غير ذلك من التعميمات السطحية التى لا يمكن بأى حال الاستناد إليها للتعبير عن خصوصية هذه المجتمعات. فالخصوصية بمعناها الحقيقى تعنى كيف يستمر المجتمع على نمط معين عبر مختلف الأجيال وفى انكساراته وانتصاراته.

والحمد لله أن فى مصر قطاعات معينة فى العمق تعى وتفهم الخصوصيات. إن أعمال جمال حمدان لم تذهب سدى، وحرب أكتوبر لم تكن صفحة طواها الزمان. وأنا أدعو الدولة بكافة قطاعاتها العلمية إلى إنشاء أكاديميات ومكتبات علوم تضم إصدارات نتجت عن أعمال ومناقشات علمية تناولت موضوع الخصوصية، وهذا يتطلب ابتداءً أن يكون لدينا إيمان بقدراتنا. من فى مصر يدرس جمال حمدان؟ إنه يدرَّس فقط فى كلية الأركان وأكاديمية ناصر العسكرية، فى حين أنه يدرَّس خارج مصر من جانب من يخربون مصر؛ من يسعون إلى التفكيك فى حين أننا لا نهتم بالتربيط.

المناقشات

د/ زينب الخضيرى:

سعدت جداً بالاستماع إلى أستاذنا العظيم الدكتور أنور عبد الملك، وهذه ليست المرة الأولى التى أستمع فيها إليه. وأعتقد أن كلمته عبرت عن طبيعة شخصيته الفكرية وهى طرح السؤال تلو السؤال وعدم الركون عند الثابت والمستقر والمتفق عليه. وقد أثار الدكتور عبد الملك العدد من القضايا تحتاج كل منها إلى مؤتمر على حدة. ولقد لفت أنظارنا إلى أمور جديدة تماماً وفتح أمامنا آفاقاً مفيدة جداً لمعالجة الأطروحة السياسية لهذا المؤتمر وهى "الخصوصية الثقافية".

وأود أن أتوقف عند ما أثاره بشأن الدكتور جمال حمدان، وأنه لا يدرَّس ولا يُهتم به إلا فكلية الأركان، ربما لكتاباته عن إسرائيل والصراع. والحقيقة أن الدكتور جمال حمدان علم من أعلام الفكر المصرى، ويحتاج إلى دراسة فى مجالات الفلسفة والجغرافيا والتاريخ؛ فهو أول من كتب فى "شخصية مصر" عن "الخصوصية الحضارية". ومما يذكر أن كتاب "شخصية مصر" كتب قبل كتاب "شخصية فرنسا L'identité de la France لبرودل، الذى تحدث أيضاً – مثل جمال حمدان – عن الزمان والمكان، وقد أشار الدكتور عبد الملك أيضاً إلى الارتباط الشديد بين المسيرة التاريخية والمكان. إن جمال حمدان يستحق أن نهتم به وأن نبرز أعماله وإسهاماته.

د/ حسن عيسى:

سوف أبدأ بآخر كلمة قالها الدكتور أنور عبد الملك: "إنهم يهتمون بالتفكيك ولا نهتم بالتربيط". فالغرب يدرس خصوصيتنا نحن بهدف تفكيك أواصر مجتمعاتنا، فى حين أننا لا نهتم بدراستها لتربيط ما يقومون هم بتفكيكه.

ولقد زاد الاهتمام بموضوع الخصوصية الثقافية بعد نزعة العولمة، وكأنه خط دفاع أول ضد العولمة أو آلية للدفاع الذاتى self-defence mechanism ضد "غول" العولمة الذى

يهدد بأن يلتهم الدول الصغيرة أو دول العالم الثالث بالذات. والخصوصية الثقافية، كمفهوم، أعم وأشمل من الشخصية القومية، ولابد من أن تكون دراستنا لخصوصيتنا الثقافية دراسة إيجابية بغرض أن يستفيد أفراد المجتمع من هذه الدراسة.

المستشار/ عبد الرازق عبد العزيز:

أود أن اسأل الدكتور أنور عبد الملك عن مسألة "التوحيد والدولة المركزية" كدعامتين للخصوصية المصرية؛ فعدد سكان العالم يزيد عن ٦ مليار نسمة، منهم ما يزيد عن ثلاثة مليارات نسمة لا يدينون بأى من الديانات التوحيدية الثلاث، فكيف يمكن أن نتعامل مع هؤلاء الذين يختلفون تماماً مع ثقافتنا؟

أما عن مسألة الدولة المركزية، هل ستظل هذه المركزية الطاغية قائمة فى مجتمعنا؟ وهل هى فى صالحنا؟ وكيف يمكن الاستفادة منها أو تطويعها كى تكون فى صالحنا؟

م/ عبد المعطى زكى:

هل تعد الخصوصية الثقافية إحدى أدوات الدفع الحضارى؟ هل يمكن لدولة مثل مصر تملك تراثاً حضارياً كبيراً أن تستخدم الخصوصية الثقافية كأداة لتحقيق دفعة حضارية تنقلها من حالة الركود الحضارى التى تعيشها؟

سؤال آخر عن العلاقة بين الخصوصية الثقافية والعولمة؛ أعتقد أن العولمة هى حركة غربية براجماتية الغرض منها الاستحواذ، حيث يتحدث دعاة العولمة عن إمكانية تحويل العالم على دولة واحدة (القرية الكونية)، لكن هذه الدولة الواحدة يتم بناؤها على أنقاض المجتمعات التى يتم تدميرها – خصوصاً ثقافياً. فى تجربة الخلافة الإسلامية هناك دولة إسلامية واحدة عالمية انصهرت فيها ثقافات عديدة لم تقضِ أى منها على الأخرى، وقد استمرت دولة الخلافة هذه لما يزيد عن ١٣٠٠ عام. فهل يمكن الآن أن تتلاقح تلك الخصوصيات الثقافية مع بعضها فتنتج حضارة واحدة كما حدث فى التاريخ الإسلامى؟

أ/ محمود ثابت:

أعتقد أن الحديث عن الخصوصية الثقافية –المصرية مثلاً أو العربية– بات أمراً صعباً فى وقت أدى فيه الانفتاح على الثقافات الأخرى إلى تعدد توجهات أبناء المجتمع الواحد.

د/ أنور عبد الملك (يرد):

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة أمر صعب جداً، وبالتالى فإن ما سوف أقوله لن يكون تعليقاً أو رداً على المداخلات والأسئلة، وإنما هو انطباع تكوَّن لدىّ.

فى حديثى السابق حاولت أن أتكلم عن إيجاد مفهوم أو منهج أو أداة للربط بين ما هو مختلف / مغاير وما هو مشترك بين المجتمعات الدنيا، ليس من أجل تجويد الفهم وإنما من أجل تجويد أمور العالم وأمونا بحيث نستطيع التعامل مع هذا العالم.

لقد حرصت منذ بداية حديثى أن أكون صريحاً وأبدى احتجاجى على مفهوم "الخصوصية الثقافية". والأمر الغريب أن الذين يتحدثون عن الخصوصية الثقافية الآن ليسوا هم الذين يحركون العالم، وإنما هم الذين يحرَّكون من قِبَل غيرهم. اليوم، الدول الصاعدة التى تحك ميزان القوة – مثل الصين والهند ودول أمريكا اللاتينية (بالذات البرازيل) لا تتحدث أى منها عن الخصوصية الثقافية، لكن الحديث الدائر هناك يكون عن الحضارة، عاصمة الحضارة، البعث الحضارى، أما من يتحدثون عن الخصوصية الثقافية فهى الدائرة العربية. إيران لا تتحدث عن الخصوصية الثقافية، فى حين أن دول الخليج تتحدث عنها. إن من يدخلون معارك سياسية لا يتحدثون عن خصوصية ثقافية، ومن يغيرون العالم يستخدمون مفردات أخرى من قبيل نهضة / ثورة / حضارة.

لكن استخدام كلمة "ثقافية" وإلحاقها بالخصوصية فهو نوع من تلوين ما هو مغاير بهدف أن يُحترم. لكن المهم ليس أن يحترمنا الغير بقدر ما نحترم نحن أنفسنا، وأن نفرض وجودنا لا أن نتسول وجودنا. ولن ننال الاحترام إلا إذا صرنا أقوياء، والدليل الحاضر على ذلك هو إيران، التى تبدو وكأنها طرف فى مباراة لكرة القدم مع الغرب، وتلعب دورها بدرجة

عالية جداً من اللباقة والذكاء والدهاء والمناورة والإصرار والنظرة والرؤية والمشروع. وهذا أمر لم نره منذ زمن بعيد فى دائرتان، لكننا رأيناه فى فيتنام والصين واليابان؛ حيث خرجت تلك الأخيرة من الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ مدمَّرة، ليس فقط بفعل القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما وناجازاكى، ولكن العاصمة طوكيو نفسها كانت قد دمرت – وتكاد تكون محيت– حيث احترقت جميع مبانيها الخشبية ولم يبقَ فيها إلا قصر الإمبراطور. ولكن بعد عشرين عاماً صارت اليابان القوة الاقتصادية الثانية فى العالم، فكيف تم ذلك؟ لم يتم ذلك بفضل الخصوصية الثقافية، وإنما ببناء الترسانة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وبفضل الإصرارية القومية اليابانية.

إن الحديث عن الخصوصية الثقافية يجعلنا دائما نقف موقف المظلومين، كأن نشكو ممن يهاجمنا بصفة "الإسلام الفاشى" أو "الفاشية الإسلامية"، لكننا لو كنا أقوياء ما كان لأحد أن يجرؤ على مهاجمتنا. علينا أولاً أن نبنى قوتنا الوطنية، ولا ينبغى لأحد أن يدعى القوة وهو لا يملك شيئاً.

وفيما يخص حديثى عن جمال حمدان وأنه لا يدرَّس إلا فى كلية الأركان وفى أكاديمية ناصر العسكرية، فإننى كنت أتحدث تحديداً عما ذكره الدكتور حمدان عن مكانة مصر فى العالم، فهذا الأمر لا يدرَّس أو يبحث أكاديمياً فى الجامعات المصرية، وإنما يتم الحديث عنه من باب المجاملة.